ما فائدة العلم ؟

قال الإمام الشافعي رحمه الله :

العلم مغرسُ كلِّ فخرٍ فافتخر ... واحذر يفوتك فخرُ ذاك المغرسِ
واعلم بأن العلم ليس يناله ... من همُّه في مطعمٍ أو ملبسِ
إلا أخو العلم الذي يُعنى به ... في حالتيه عارياً أو مكتسي
فاجعل لنفسك منه حظّاً وافراً ... واهجر له طيب الرُّقاد وعَبسِ
فلعلَّ يوماً إذا حضرتَ بمجلسٍ ... كنت الرئيسَ وفخر ذاك المجلسِ

وقال في مكان آخر :

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي ... من وصل غانيةٍ وطيب عناق
وصريرُ أقلامي على صفحاتها ... أحلى من الدَّوكاء والعشّاق
وألذُّ من نقر الفتاة لدُفِّها ... نقري لأُلقي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طرباً لحلِّ عويصةٍ ... في الدَّرْس أشهى من مُدامة ساقي
وأبيتُ سهران الدُّجى وتبيتُه ... نوماً وتبغي بعد ذاك لحاقي ؟[1]

وقال رحمه الله في مكان آخر :

علمي معي حيثُما يممتُ ينفعُني ... قلبي وعاءٌ له لا بطنُ صندوقِ
إن كنتُ في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنتُ في السوق كان العلمُ في السوقِ

---

(١) وتنسب هذه الأبيات للزمخشري ـ والله أعلم ـ .

وقال في مكان آخر :

رأيت العلم صاحبُهُ كريمٌ ... ولوْ ولدته آباءٌ لئام
وليس يزالُ يرفعه إلى أن ... يُعظِّم أمره القومُ الكرام
ويتبعونه في كلِّ حالٍ ... كراعي الضأن تتبعهُ السَّوام
فلولا العلم ما سعدتْ رجالٌ ... ولا عُرف الحلال ولا الحرام[1]

* * *

الوداع... الوداع..

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جعل يقول : اللهم رضِّني بقضائك ، وبارك لي في قَدَرك ، حتى لا أحبَّ لما عجلت تأخيراً ، ولا لما أخَّرت تعجيلاً .

وسمعته فاطمة زوجه ـ وقد أمر أن يخرج كل من عنده ـ يقول ويردِّد :

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص : ٨٣] .

ثم خَفَت الصوت ، فدخلوا عليه فوجدوه ميتاً مغمَّضاً مسجّى ، قد أقبل بوجهه على القبلة ، ووضع إحدى يديه على فيه ، والأخرى على عينيه .

---

(١) مختارات من ديوان الإمام الشافعي رحمه الله .